دور المؤسسات فى اكساب وتنمية القيم الأخلاقية للطفل

أولاً: الأسرة

ثانياً: المدرسة

ثالثاً: جماعة الرفاق

رابعاً: وسائل الإعلام

يتناول هذا الفصل دور المؤسسات التى تسهم فى اكساب الأطفال القيم الأخلاقية المختلفة، كما تلعب دوراً فى تنميتها مثل (الأسرة، المدرسة، جماعة الرفاق، وسائل الإعلام) وأن لكل منها دور تقوم به يختلف عن دور المؤسسات الأخرى فى إكسابها الأفراد هذه القيم، ولكنها أدوار مكملة لبعضها البعض وتتمثل هذه المؤسسات فيما يلى:-

أولاً: الأسرة:-

تلعب الأسرة دوراً هاماً فى بناء شخصية الطفل السوية، حيث أنها من أهم المحاضن التربوية وأقواها أثراً فى بناء شخصيته، فهى الوعاء الإجتماعى الذى يتلقى الطفل ويتفاعل معها ويشعر بالإنتماء لها ويتعلم منها كيف يتعامل مع الآخرين، ويستقى عاداته وأخلاقه وطبائعه. ولذا يجب على الوالدين أن يربوا أولادهم تربية أخلاقية صحيحة.

وقال رسول الله ﷺ: "ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" وذلك لكون الطفل يعتمد على والديه اعتماداً كلياً فى مرحلة الطفولة، فهو يتعلم من والديه المعرفة المتعلقة بأنماط السلوك والعادات والقيم، وإن الأسرة هى التى تغرس فى الطفل القيم الأخلاقية، فى الأسرة تكمن مسئولية الوالدين فى رعاية الطفل وتكوين العادات السليمة والاهتمام بصحته الجسمية والنفسية والاهتمام بالناحية الانفعالية، وقد كان يوصى ﷺ بإظهار العطف والحنان للأطفال، وقد كان يعامل الحسن والحسين رضوان الله عليهما بمنتهى الرفق والحنان، وقد أطال السجود ذات مرة لأن الحسن رضى الله عنه كان متعلقاً بكتفه

فلم يحب أن يفزعه، ويقع على الأسرة مسئولية إشباع حاجات الأطفال حتى يكونوا شخصية سوية.

وتتعاظم أهمية الأسرة بالنسبة للطفل فى أنها تستطيع أن تعزز فى نفوس أطفالها الكثير من مشاعر وأخلاق الوالدين ومفاهيمهم الدينية خاصة، وأن الطفل فى هذه المرحلة العمرية يستطيع أن يلتقط الصور المختلفة من أفعال والديه وأقوالهما. كما تعتبر مشاهداته ومسموعاته فى محيط الأسرة منهاجاً له فى حياته المقبلة. وبالتالى فإن أثر الآباء على الأبناء غالباً ما يكون كبيراً، وقد يكون لعناصر البيئة الأخرى المحيطة بالأبناء أثرها كذلك، ولكن هذا الأثر لا يعادل فى قوته ما للوالدين من تأثير على الأبناء. ويزيد من أهمية الأسرة وأثرها المباشر فى اكتساب الطفل للمفاهيم الدينية والأخلاقية ما يؤكده العلماء من أن الطفل يصعب اكتسابه لتلك المفاهيم عن طريق الاستدلال المنطقى وإنما يتمثلها ويشعر بها عن طريق الإرشاد والتوجيه من الوالدين والأسرة حيث يكتسب كثيراً من مشاعر وخبرات والديه الدينية والأخلاقية بجانب ما يكتسبه نتيجة للمقررات الدينية بالسنوات الدراسية المختلفة.

فالأسرة هى الخلية الأولى التى يفتح الطفل عينيه عليها، وتأثيرها عليه يلعب دوراً كبيراً فى توجيهه وتكوينه، وبالقدر الذى تقدمه الأسرة للطفل من مميزات تربوية بقدر ما يتكون وينمو ويواجه المجتمع. فالأب والأم معاً حجر الزاوية الذى عليه يمكن أن نشيد صرح التربية الأسرية بالمنهج الصحيح بمعنى أن الطفل من صنع والديه ونبت تربيتهما.

تلعب الأسرة دوراً هاماً فى تنشئة الأطفال تنشئة أخلاقية صحيحة وفى تنمية ذكائهم حيث أن الطفل يظل داخل الأسرة خلال سنوات طفولته الأولى حتى تتفتح مشاعره، وحتى تنمو ملكاته وسط الأسرة ويستمر دور الأسرة بعد ذلك فى تنمية شخصية الطفل وتزويده بالخبرات والمهارات الحياتية التى سوف يستفيد بها فى نواحى عديدة من حياته.

وأن المناخ الأسرى بيئة تساعد فى تنمية الأبناء، فالأطفال يتعلمون التفاعل الاجتماعى وتكوين الضمير بالتمييز بين الخير والشر والصواب والخطأ ومعايير الأخلاق والقيم المرغوبة، وكذلك ينبغى على الأسرة العناية بالطفل وتوجيه العناية له وتزويده بالعادات السليمة وحمايته من الأمراض ومن الأخطار، وكذلك تزود الأسرة أطفالها بمبادئ الدين وتكسبهم مجموعة من الأفكار والمعتقدات والإتجاهات والقيم الإيجابية وكذلك توجيهه وتعليمه وتعديل سلوكه لكى يدرك ما هو مرغوب فيه وما هو غير مرغوب فيه من قيم وسلوك.

وبهذا فإن الطفل يستجيب ويمتص من الأسرة توجيهها لقيم استقرت داخل الأسرة، وصارت مقبولة اجتماعياً وباتت تدور حول محاور مثل: الدين والخلق وتكوين الأسرة وتربية الأطفال وسائر العلاقات الإجتماعية ولكن لا يقتصر دور الأسرة على نقل عناصر الثقافة لأفرادها، بل إنها تقوم بعملية قيمية تقويمية، أى عملية اختيار من هذه العناصر وتقوم بتفسيرها للفرد بل وتضع أسس القبول أو الرفض لكل عنصر منها.

وتعد الأسرة من أكثر المؤسسات أهمية للطفل، حيث أن الطفل يعتمد عليها اعتماداً كلياً فى تشكيل شخصيته، وتعد الشخصية المتزنة ذات أثراً فعالاً فى حياة الأفراد ولا تتكامل إلا عندما تكون قد وجهت من كل جوانبها، وربيت من كافة أقطارها، وهذبت من كل أطرافها، فبالنسبة للجانب الإيمانى مثلاً فى شخصية الطفل تبدأ الأسرة بتلقين الطفل كلمة التوحيد وحب الله وحب الرسول ﷺ. فلابد من إعداد الطفل وتدريبه على عبادة الله عز وجل، فعبادة الله تعالى تفعل فى نفس الطفل فعلاً عجيباً فهى تشده بالاتصال بالله عز وجل وتهدأ من ثورته النفسية.

أما بالنسبة للجانب الفكرى مثلاً فى شخصية الطفل حيث يزود الطفل بكل ما هو نافع من العلوم الشرعية والثقافية العلمية والعصرية والتوعية الفكرية حتى ينضج الطفل فكرياً ويتكون علمياً وثقافياً، ويكون السبيل إلى ذلك عن طريق التلقين الواعى من قبل والديه ومربيه والقدرة الواعية التى تربط الطفل بمرشد

مخلص واع فاهم لدينه، والمطالعة لبعض القصص الإسلامية التى تتحدث عن سيرة الأبطال والصالحين والسيرة النبوية.

وكذلك بالنسبة للجانب الجسمى فقد أوصى الإسلام بالإهتمام بالبناء الجسمى للطفل ليكون شخصية قوية مؤثرة قادرة على تحمل المشاق ومقاومة الأمراض، وبهذا فعلى الأسرة أن تهتم بأطفالها جسمانياً وتغذيتهم تغذية سليمة ومعالجتهم حين يمرضون ويمارسون الرياضة البدنية لكى يصبحوا أصحاء أقوياء.

وبالنسبة للجانب الأخلاقى فتقوم الأسرة بتأديب أولادهم وتحسين أخلاقهم وتعويدهم الصدق والأمانة والكرم... وكثير من الفضائل الأخلاقية التى يجب أن يتحلى بها الأفراد.

وبما أن الأسرة لها دوراً هاماً فى تنمية شخصية الطفل وتنمية القيم الأخلاقية، فلابد من التعرف على العوامل المؤثرة على العلاقات الأسرية، وتتضح فيما يلى:

أ - حجم الأسرة:

من المعروف أنه كلما زاد عدد أفراد الأسرة زادت درجة التعقيد للعلاقات الأسرية وعدم التقارب بينهم، وعندما يقل عدد أفراد الأسرة الواحدة يؤدى إلى الوئام والترابط والتماسك الأسرى. وتشير البحوث إلى أنه بكبر حجم الأسرة وزيادة فارق العمرين للوالدين وقلة الفاصل الزمنى بين الأخوة ينخفض الذكاء بين الأطفال، ومع زيادة حجم الأسرة يرتفع مستوى الخوف لدى الطفل وكذا الغيرة، وعموماً فإن تراوح حجم الأسرة بين (٤ – ٥) أفراد يكون معه أفضل تكوين نفسى للطفل على اعتبار أن حجم الأسرة هو الأب والأم والأخوة والأخوات.

ب - الظروف الاقتصادية:

إنه كلما توافرت الظروف الاقتصادية المناسبة من مسكن وملبس وإمكانيات مادية مناسبة. قلل ذلك فى أعم الأحوال من الخلافات الأسرية وزاد من الروابط

والعلاقات الأسرية، والعكس من ذلك أنه كلما كان المستوى الاقتصادى غير مناسب للأسرة عوق ذلك عن إشباع احتياجات الأفراد وتعارض إشباع الحاجات الأساسية بصفة خاصة مع الإمكانات المادية، وهذا ما يوجد عدم استقرار نفسى داخل الأسرة الواحدة بل قد يؤدى إلى تنافس وانحرافات سلوكية داخل الأسرة وخارج البيئة الأسرية.

جـ - المستوى الثقافى للأسرة:

كلما ارتفع المستوى الثقافى وزاد الوعى بين أفراد الأسرة الواحدة زادت العلاقات الأسرية تعقيداً، فحيث تبتعد الأمية وتزداد المعرفة ويرتفع مستوى التعليم والثقافة بين أفراد الأسرة الواحدة وتتوافر الإمكانات الثقافية من مواد إعلامية داخل الأسرة أو خارجها من (كتب – جرائد – مجلات – مكتبات عامة – تليفزيون – نوادى) فإن توافر مثل هذه الإمكانات الثقافية يعمل على إيجاد وسط ثقافى متميز وخاصة فى المدن والعواصم الكبرى، كل هذا من شأنه أن يؤثر على العلاقات الأسرية فى مسارها السوى واللا سوى بين أفراد الأسرة الواحدة.

د - التحضر والتمدن فى الأسرة:

من المعروف أن مجتمع المدينة تختلف العلاقات والروابط الأسرية به عن مجتمع القرية أو البادية، حيث أن مجتمع المدينة مجتمع مفتوح تتوافر فيه الإمكانيات المادية والثقافية والحضارية والإجتماعية مما يعقد العلاقات الإجتماعية بين أفراد الأسرة الواحدة، وعادة ما يكون مجتمع القرية محدوداً مغلقاً تتواجد فيه العلاقات إلى حد ما ويحدث عادة تماسك أسرى بدرجة أكبر تتقارب فيه الإتجاهات والقيم والمعايير ويزداد تماسك الأفراد بالقيم الأخلاقية والروابط الأسرية، بمعنى أن التماسك الأسرى فى مجتمع المدينة عادة ما يكون أقل فى كمه وكيفه من التماسك الأسرى فى مجتمع القرية.

هـ - الوضع المهنى والوظيفى فى الأسرة:

كلما كانت البيئة الإجتماعية والثقافية فى الأسرة مناسبة فقد أدى ذلك إلى تقارب وتماسك العلاقات بين أفراد الأسرة، وعادة عند استطلاع الرأى حول الوضع الوظيفى لرب الأسرة أو الأم نجد عدم رغبة البعض فى ذكر المهنة باعتبارها خصوصيات الفرد أو قد تورطه فى مشاكل أو خوفاً من الحسد ومازالت هذه المعتقدات للأسف سائدة فى مجتمعنا الحالى حتى عند بعض المثقفين.

ومما سبق يمكن إجمال دور الأسرة فى تنمية القيم الأخلاقية فيما يلى:

* أن يكون الوالدان قدوة لأبنائهم فى التحلى بالقيم الدينية والأخلاقية سواء فى أداء الفرائض أو السلوكيات اليومية أو تعاملاتهم مع الآخرين.
* الحرص على تنشئة الأطفال وتربيتهم تربية أخلاقية قائمة على الفضيلة والأخلاق.
* توجيه الأبناء إلى حفظ القرآن ومتابعتهم فى ذلك نظراً لأهميته القصوى فى التحلى بالقيم الأخلاقية بعد ذلك.
* انتقاء أصدقاء أطفالنا وإبعادهم عن رفاق السوء حتى لا يؤثرون على قيمهم.
* تقويم سلوكيات الأطفال الغير مرغوب فيها.
* تربية الطفل تربية أخلاقية سليمة تعمل على تكوين شخصية متزنة متكاملة، والاهتمام بجميع نواحى النمو (الفكرية، الاجتماعية، الجسمية).

فالأسرة هى الوسيط الأساسى فى تكوين شخصية الفرد ونشأة هويته، فيها يكتسب الطفل القيم والأفكار والاتجاهات.... إلخ.

وإذا كان دور الأسرة مهماً فى إكساب وتنمية القيم الأخلاقية للطفل فما دور المدرسة أو المعلمة فى ذلك؟

ثانياً: المدرسة:-

تعتبر المدرسة من أهم المؤسسات التربوية فى المجتمع وهو مؤسسة مكملة لدور الأسرة، حيث تعمل على إيجاد التوازن النفسى والإجتماعى لدى الفرد، ولأنها تؤثر فى مفاهيم الفرد المتعلم وفى تكوين معتقداته كما تؤثر فى سلوكه، فالمدرسة هى مؤسسة أوجدها المجتمع من أجل تربية وتعليم الأبناء على أسس منهجية سليمة بهدف إعداد الفرد إعداداً صالحاً وصقل شخصيته وتعديل سلوكه، هذه الأسس لا تستطيع الأسرة أن تقوم بها أو تعمل على التخطيط لها بمفردها، لأن المدرسة تقوم بالعبء الأكبر فى عمليات التربية والتعليم والتثقيف. كما أن المدرسة تعمل على تزويد الفرد المتعلم مجموعة من المهارات وأساليب التفكير والقيم لكى يستطيع أن يتكيف مع نفسه ومع الآخرين.

فالمدرسة تلعب دوراً لا يمكن إغفاله فى ترسيخ القيم الأخلاقية حيث تستخدم طرقاً مباشرة ومقصودة وذلك بتناول هذه القيم والتأكيد على ضرورة التمسك بها، ويمكن استخدام القصص ومناقشة ما جاء بها وأخذ العبر منها ومعرفة السلوك الحسن الذى جاء فيها والسلوك السئ للإستفادة من السلوك الطيب وتجنب السلوك السئ. وأنه لابد من التعاون بين الأسرة والمدرسة فى تحصين أطفالنا بالقيم الأخلاقية ولا يمكن إغفال دور المعلم فى غرس القيم والمبادئ لأبنائه لما له من أثر عظيم عليهم يمكنهم من إحداث التغيير فى سلوكهم. فيعد أول تأثير يتلقاه الطفل فى المدرسة هو تأثره بالأشخاص المحيطة به من معلميه فتأثر الطفل بالمعلمة كبير ويعد المرجع فى سلوكه هو المعلمة.

فتقوم المعلمة بتنمية الجانب الإيمانى والأخلاقى والجسمى والإجتماعى والفكرى.... إلخ لدى الأطفال، فقد تصحبهم المعلمة إلى مكتبة المدرسة لقراءة القصص الدينية والإجتماعية، كذلك تذكرة الأطفال بأن الله خالق كل شيء ونعمه علينا عديدة مع الشكر دائماً لله على نعمة العظيمة وأن الله يرانا فى كل وقت لتنمية

الضمير الأخلاقى داخل الطفل وتجنب الأخطاء دائماً. وكذلك يجب أن يستوفى البناء الجسمى للطفل حقه من خلال المعلمة، وذلك بتوفير الحصص والبرامج الرياضية بالمدرسة حتى يكون قوى الجسم والمعلمة ترشد الطفل كيف يعتنى بصحته، وفى المدرسة تهدف التربية الأخلاقية إلى التركيز على غرس القيم والفضائل الأخلاقية فى النفوس لأنها الدعامة الأولى فى بناء شخصية الطفل ففيها يربى الطفل على الأخلاق الحميدة. فعلى المعلمة القدوة أن تغرس المفاهيم الطيبة فى نفوس الأطفال مثل الصدق وعدم الكذب وأن يكافئ الطفل الذى قام بعمل طيب أمام زملائه ليقتدوا به، يعلم الأطفال الأدب مع الوالدين والاحترام والأخلاق الحميدة وضرورة إشعار الأطفال بانتمائهم إلى المدرسة، وعدم تشويه منظر المدرسة وتحطيم أثاثها، والواقع أن المدرسة فى غالب الأمر تعمل على بلورة تكوين الخُلق الذى يبدأ بالفعل لدى الطفل أكثر مما تعمل على تشكيله فى مسارات مرغوبة.

ويمكن إجمال دور المعلمة فى تنمية القيم الأخلاقية فيما يلى:-

- الحرص على تنشئة وتربية الأطفال تربية أخلاقية قائمة على الفضائل والأخلاق.
- أن تكون المعلمة قدوة للأطفال فى التحلى بالقيم الأخلاقية من خلال سلوكيات التعامل مع الأطفال.
- التأكيد على حفظ قصار السور من القرآن الكريم.
- تقويم سلوكيات الأطفال الخاطئة وغير المرغوب فيها مع التركيز على السلوكيات الصحيحة والإثابة عليها.
- تربية الأطفال على القيم الأخلاقية وتكوين شخصية متكاملة.
- انتقاء القصص الهادفة إلى تنمية القيم النبيلة (كالصدق – التعاون) وإلقائها على الأطفال.

وأخيراً، فإنه يجب على المعلمة أن تحث أطفالها على ضرورة التمسك بالقيم

الأخلاقية وتؤكد ذلك من خلال البرامج المختلفة والأنشطة المتنوعة وجميع الخبرات التى تقدم من خلالها. مع التأكيد على أهمية القصة لما لها من أثر فى نفوس الأطفال وتهذيب أخلاقهم كما تغرس فى نفوسهم الصفات الحميدة والفضائل ومكارم الأخلاق.

ثالثاً: جماعة الرفاق:-

إن جماعة الرفاق تعد أثر عظيم فى سلوك أبنائنا، قد أكد لنا رسول الله ﷺ أهمية اختيار الصديق، فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل" (رواه أبو داود والترمذى)

ومن منطلق هذه النصيحة النبوية فلابد من أن نحسن اختيار الأصدقاء، وحسن اختيار المجالسة الطيبة مع من حسنت أخلاقه، والبعد عن مجالسة من ساءت أخلاقه، حيث قال رسول الله ﷺ "مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بدنك أو شويك أو تجد منه ريحاً خبيثاً" (رواه البخارى).

ولذلك يجب على الوالدين أن يوجهوا أبنائهم لأهمية حسن اختيار الصديق، وأن يكون الصديق حسن الخلق تجنباً لما قد يؤدى إليه سوء اختيار الصديق من انحرافات وانزلاقات فى المخاطر.

رابعاً: - وسائل الإعلام:-

إن وسائل الإعلام تلعب دوراً كبيراً فى تدعيم القيم الأخلاقية مثل الصحف والمجلات والإذاعة والتليفزيون، فبالنسبة للصحف والمجلات يجب أن تتعرض لجميع الموضوعات التى تطرح قيماً وأخلاقيات إيجابية وأن تركز مجلات الأطفال على القصص الهادفة وقصص البطولات وذلك بأسلوب سهل يشد انتباه الأطفال ويحثهم على التحلى بالفضائل ويبعدهم عن الرذائل.

كما يجب أن تتضمن الإذاعة برامج متعددة تبين بعض القيم الإيجابية والأخلاقيات والسلوكيات المرغوب فيها، كذلك تقديم التمثيليات والقصص التى تؤكد على ترسيخ القيم الأخلاقية لدى الأبناء.

أما التليفزيون فيعتبر من أخطر الأجهزة الإعلامية تأثيراً فى القيم والعادات السلوكية، فيجب توجيه أبناؤنا إلى أخذ ما هو مفيد ونبذ ما لا يفيد من السلوكيات والإتجاهات التى تعرض ببرامج التليفزيون. ويجب أن تهتم برامج التليفزيون بمشكلات المجتمع ككل ومشكلات الشباب والأبناء بصفة خاصة، فهم جيل المستقبل، والعمل على حل هذه المشكلات من خلال البرامج الخاصة لهم، وأن يركز التليفزيون على الموضوعات التى تؤكد على القيم الأخلاقية، على أن يقوم بتقديم هذه البرامج علماء الدين وأهل العلم وأساتذة الجامعات وغيرهم من أهل الفكر حتى تصير هذه البرامج ذات أثر عظيم وطيب فى اكتساب الأبناء القيم الأخلاقية والفضائل الحميدة.